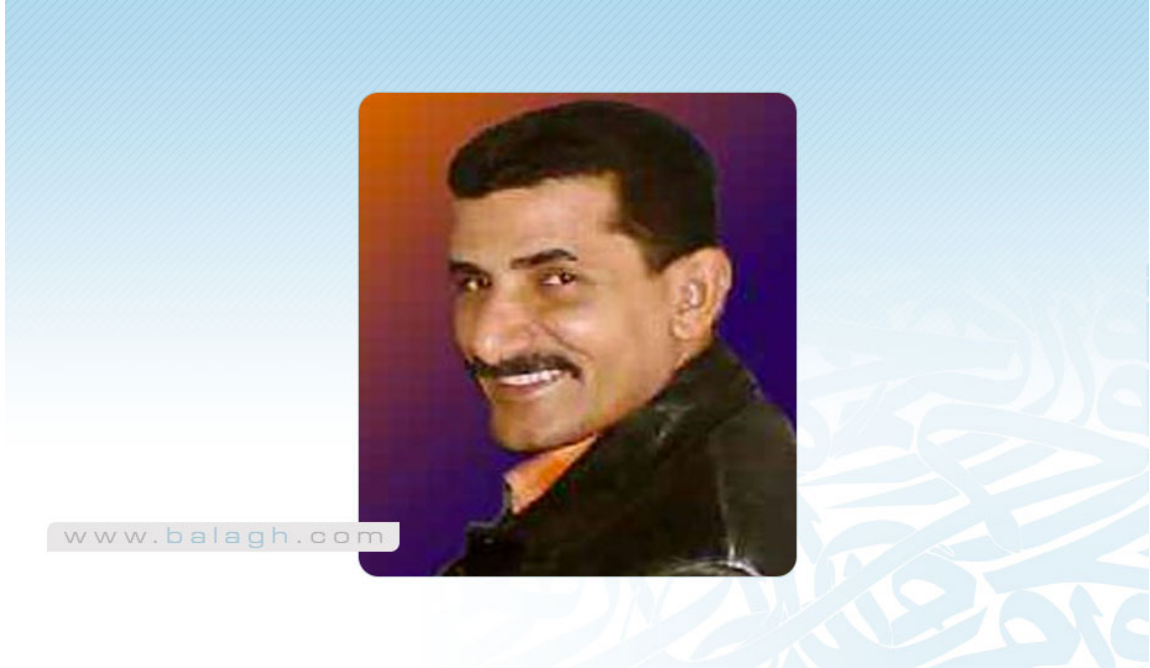


مرتکزات السلم العالمی فی المنظور الاسلامی



السلم او السلام العالمی، هدف المفكرین والمصلحین العظام علی مر التاریخ، وقد سعی هؤلاء النخبة الی ترسیخ السلام العالمی وتعمیمه، من خلال جهود فكریة عملیة، تقدم لقادة العالم رؤى وأفكار وسبل، تجعل من نشر السلم العالمی واقع فعلي، لا فكرة طوباویة كما یصفها بعضهم.

وقد ورد فی السلام العالمی انه (المثل الأعلى للحرية والسلام والسعادة بین وداخل جميع الدول و/أو الشعوب. إن السلام العالمی هو فكرة طوباویة من اللاعنف الذي من خلاله الدول تتعاون إرادياً، إما طوعاً أو بحكم نظام حكم یمنع الحرب. علی الرغم من أن هذا التعبير یستخدم أحياناً للإشارة إلی وقف جميع الأعمال العدائية بین جميع الأفراد، السلام العالمی أكثر شیوعاً یشیر إلی نهاية دائمة للحروب العالمیة والإقليمية مع حل الصراعات فی المستقبل من خلال وسائل غیر عنیفة).

الامام الشیرازی مصلحاً سلمياً

لقد عانى العالم اجمع من الاخطاء السیاسیة لبعض الافراد (القادة)، إذ قادت العالم الی حروب كارثیة بسبب ارادات فردیة قاصرة، كما حدث فی الحرب العالمیة الاولى مثلاً، حیث ذهب الملايين ضحایا ألفاظ ورؤى سیاسیة متعطّرة، وهذا ما دفع المفكرین العظام الی طرح البدائل الفكریة العظیمة علی الدوام ووضعها بأیدی القادة، علّهم یرعوون ویبعدون عن العالم عن مهاوی الحروب وكوارثها وشورها.

المفكرون والمصلحون العظام، الذي تركوا بصمتهم الفكرية في المسارات العالمية للأخلاق والانسانية والسياسة وسواها، يستحقون التمجيد والتخليد دون أدنى ريب، وبخاصة على الافكار ذات النزعة الانسانية التي لا تفرق بين انسان وآخر بسبب الانتماء العرقي او الديني او الأثني او المناطقي وسواه.

هكذا هو فكر الامام الراحل، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (الذي نعيش ذكرى رحيله الحادية عشر رحمه الله)، لقد قدم هذا المصلح الكبير، رؤى وافكار عن السلم العالمي، تهدف بالدرجة الاولى الى إبعاد البشرية عن اخطار الافكار المتعصبة المريضة التي تدفع بالعالم نحو الهاوية، يقول الكاتب الدكتور خليل الربيعي، في إحدى دراساته عن الامام الراحل: إن (السيد الشيرازي يعد من ابرز المنظرين لنظرية السلم في العلاقات الدولية إذ لم تعد قضية السلم استحسانا من سماحته، وإنما أشادها على قاعدة رصينة من الأدلة الثقيلة - القرآن الكريم والسنة القولية-، والممارسة العملية أيضا للرسول الأكرم -ص- وال بيته أئمة المعصومين عليهم السلام. وانطلاقا من إيمان السيد الشيرازي بأن الدين الإسلامي رسالة تغييرية للفرد والمجتمع فانه يؤمن بأن عملية التغيير الفكري لا تحصل بالقوة، وإنما بالقناعة، وهذه تحتاج إلى أساليب سلمية وليست عمليات إكراه وقسر، ومن هنا فان الأصل في الإسلام هو السلم، سيما وان الإسلام رسالة يراد منها تغيير الناس في المعمورة).

مبدأ السلم ومبدأ الجهاد

هكذا ينظر الامام الشيرازي الى أهمية التغيير الفكري، وعدم سكونية الرشد في حيز أو مسار مغلق، على أن لا يتم تغيير القنوات بالقوة، بل إحداث القناعة وصنعها بالاقناع حصرا، كون الاخير سيضمن الايمان المطلق بالتغيير الجديد نحو الافضل، لذا يعد المرتكز الاول للسلم العالمي هو عامل الاقناع في التغيير ورفض القوة في هذا المجال، وثمة مرتكز آخر يتعلق بالسلم والجهاد، حيث أقره الامام الشيرازي وطرحه للعمل به عبر أفكاره ومؤلفاته الكثيرة.

لذا يقول الدكتور الربيعي في دراسته أيضا: (للسيد الشيرازي أسلوب في حل إشكالية -مبدأ السلم ومبدأ الجهاد-، قد يبدو انه تفرّد به وهو ينم عن قراءة واعية ومعمقة للواقع الدولي المتغير من جانب، وللنصوص القرآنية من جانب آخر بحيث وازن بين مبدأ السلم ومبدأ الجهاد من خلال أسلوبين: الأول: إيمانه بان للقوة استخدامات متعددة في الإسلام ولكن يغلب عليها طابع الردع (أي اعتمادها) لصيانة السلم وليس لزعرته.

الثاني: يعتقد الامام الشيرازي: أن امتلاك القوة يؤدي وظيفه المحافظة على كرامة الأمة وعزتها، فهناك فرق بين السلام والاستسلام، فالسلام يأتي من موقع القوة الرادعة في حين أن الاستسلام يحصل نتيجة اختلال توازن القوى لصالح احد الأطراف سيما وان صراع الحق والباطل يكاد يكون قانونا يحكم الوجود الإنساني).

وتبدو رؤية الامام الشيرازي واضحة حول معنى مفردتيّ (السلم/ الاستسلام)، إذ من مرتكزات السلم العالمي الحفاظ على توازن القوى، وعدم التفريط بهذا الشرط، لذا فإن استحصال القوة والبحث عنها

وتأكيدها والسعي اليها، لا يعني إخلالا بالسلم العالمي، شريطة (كما يرى الامام الشيرازي) أن تستخدم القوة من اجل التوازن الدولي، وليس من اجل العدوان، درنا لخطر الاستسلام في حالة فقدان القوة المطلوبة.

يدعم هذا الرأي تحليل الدكتور الربيعي الذي يؤكد على أن (السيد الشيرازي يميل إلى الجهاد الدفاعي مستلهما هذا الامر من السيرة العملية وتحديدًا الحربية للرسول -ص- والأئمة المعصومين إذ يؤمن السيد بأن حروبهم كلها كانت دفاعية. ويبدو أن السيد يميل إلى الأخذ بالأساليب السلمية وعند الضرورة يتحول الجهاد لإحلال السلم والأمن) ويضيف الربيعي أيضا (إن المتتبع لبحوث وأقوال السيد الشيرازي يصل إلى استنتاج مفاده ان القوة هي وسيلة لضمان السلم وتحقيق الاستقرار العالمي، وليست وسيلة للمحافظة على النظام السياسي، كما هو الحال مع عدد من المنظرين، والتي أدت فيما بعد إلى شيوع ظاهرة الانقلابات العسكرية من ناحية وظاهرة الاستبداد السياسي من ناحية أخرى).

تناقضات عالم اليوم

إن عالم اليوم غني عن التعريف لكل متفحص يبحث في تناقضاته وطبيعته عن كثب، وان الحراك الراهن والشامل للمجتمع البشري ينم عن تصادم واضح للعيان بين الرغبات والتمنيات وبين سبل تحقيقها كما ان التسابق المحموم لتكريس التسلط على مقدرات الانسان في عموم المعمورة من لدن فئة دون أخرى أضفى على الحراك البشري نوعا من الاستحواذ الفوضوي قاد العالم الى صراعات رئيسة وثنائية أدخلته في نفق التسلط المقيت وبالتالي أصبحت لغة العنف والإقसार هي اللغة الأقوى فعلا والأعلى صوتا في عالم اليوم، وهذا ما استشرفته رؤية الامام الشيرازي، عبر أفكاره وخطاباته ومؤلفاته التي ظل طيلة حياته الغنية، يركّز فيها على طبيعة العنف البشري المتأصلة، ونزعة الاستحواذ والتعنت، ويحذر منها ويوجّه الانسان المؤمن أينما كان، إلى وجوب التنبّه نحو مغريات وملذات الحياة اللا مشروعة، ورصد نزوات النفس البشرية التي تميل الى فرض رغباتها على الآخرين.

لذا من مرتكزات السلم العالمي ردع نزوات القادة ومراكز القوى، ومقارعة الاحتكار الاقتصادي حيث تتركز ثروات العالم لدى اقلية من الشركات والافراد وبعض الحكومات، فيما يبرز مليارات من الفقراء تحت طائلة الجوع والحرمان، وهذا ما حذر منه الامام الشيرازي، ونبّه الى خطورة احتكار ثروات وموارد الارض من لدن القلة.

لذا تعد العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص على المستوى العالمي، من اهم مرتكزات السلم العالمي ايضا، وعلى المعنيين ان يقلصوا من تناقضات العالم، ويقلصوا من فجوات السلوك الاحتكاري التي تزيد من مساحات الفقر في العالم. إذ تتلخص رؤية الامام الشيرازي للسلم العالمي، في اهمية صنع المرتكزات الاساسية الصحية التي يقوم عليها الكيان العالمي الشامل، الذي يتضمن السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية المتبادلة.

على أن يكون الطابع الانساني هو السائد أولا وأخيرا، لذا نلاحظ إن ما يميز إرث الامام الشيرازي

الفكري هو الطابع الانساني لهذا الفكر والطموح المتواصل للمساهمة في تغيير العالم نحو الأفضل.